اجتماع الصقور وتأجيل المؤجّل

مشرق عباس

لا جدال في حقيقة أن العراق يتعرض اليوم إلى اختبار مصيري، لا تسمح بديهيات السياسة ومجسات التاريخ بمحاولة التخفيف من مخاطره أو اعتباره "مشكلة عابرة لا ترقى إلى الأزمة" لكن تلك البديهيات والمجسات لا تسمح أيضا بمنطق يختصر كارثة بلد يتحرك على حافة الهاوية في رجل اسمه نوري المالكي مهما اتفقنا أو اختلفنا على مساحة الأخطاء التي صاحبت تجربته الحكومية.

أحد مبادئ إدارة الأزمة وضع حدودها وخياراتها، وهي في التجربة العراقية اليوم تتعلق بمستويين يتعلق احدهما بخلل في صميم الاتفاق الاجتماعي والسياسي على إدارة الدولة يفتح باب التأويل والتداخل في مشروع الحكم بين "حق المكون" و"حق المواطنة"، وثانيهما يخص آليات الحكم ومفرداته الدستورية والقانونية وتوزيع السلطات والصلاحيات والإمكانات والثروات.

وليس من باب المصادفة إذا اتفقنا على المستويين السابقين للأزمة أن نتفق بالضرورة على أن أسبابها وحلولها لا تتعلق بشخص واحد أو حزب واحد مهما كان سقف الاتهامات العراقية – العراقية مرتفعاً، وأن ثمة مسؤولية تضامنية كانت وستبقى التوصيف الوحيد المتاح أمام فهم ما جرى وما يمكن أن يجري.

من سوء الأقدار العراقية أن المحنة التي وصلت إليها البلاد اليوم لا تتسع إلى أحلامنا العريضة عن وطن مواطنة للجميع يسير بإرادة ذاتية بصرف النظر عن السكك والمسارات والتوصيفات التي ندرك منذ سنوات أنها لا تنفذ إلا إلى الأنفاق المعتمة.

فالدستور العراقي الذي سنّ العام ٢٠٠٥ يضع العراقيين أمام رؤية مبدئية لدولة مواطنة بصرف النظر عن الاعتراضات في التفاصيل والنواقص والتشريعات الملحقة، لكن أمزجة الجمهور التي اختبرت في انتخابات ٢٠٠٦ و ٢٠١٠ وتختبر في الأزمة المشتعلة اليوم تكشف بلسان أكثر صراحة عن ملامح "دولة مكونات" تجد هي الأخرى منافذ دستورية لها.

متوقع أن تهرب النخب السياسية والثقافية وحتى الشعبية العراقية إلى أمام فتتغاضى مجدداً عن البحث في أصل تعريف الدولة، لكن ذلك الهروب لن يعفيها طويلاً على أية حال من الاختيار بين مفهومي "دولة المكونات" أو "دولة المواطنة" ليتسنى تحديد آليات الحكم دستورياً وعرفياً بعد الاختيار وليس قبله.

وبعيداً عن اللغة العاطفية فإن تكريس تلك النخب مفهوم "حق المكون" في أدبياتها وسياساتها وسلوكها، ومن ثم التمسك بمفهوم "المواطنة" الدستوري شكلاً، سيحمل الجيل السياسي العراقي الحالي بمختلف تمثيلاته المسؤولية التاريخية لتقسيم العراق في ظل بيئة إقليمية ودولية متاحة ومشجعة على تعميق الشروخ الاجتماعية.

وحيث أن لدولة المكونات أصولاً وقواعد وتوافقات وآليات ديمقراطية تحمي الأقليات المذهبية والعرقية عندما تمنح الأكثرية حق الحكم، فإن لدولة المواطنة قواعد حكم وآليات ديمقراطية مختلفة، ومن غير المجدي محاولة الدمج بين المفهومين للخروج بحكم هجين على غرار القبول بالفيدرالية شريطة أن تكون "جغرافية" في بلد تقود انتخاباته وقواعد حكمه وثقافة أحزابه ومحاصصاته إلى تمثيل مكوناتي مذهبي وعرقي صريح، أو أن ترفع أحزابه شعار "المواطنة" وتشهر بطاقات المحاصصة والتقسيم، أو أن تسعى مدنه التي تمتلك الثروات الطبيعية إلى الاستئثار بها أو التلويح بحرمان الآخرين منها.

وتالياً، فإن المسؤولية التضامنية تلك تنسحب جدياً على مفردات ممارسة الحكم في العراق والتي قادت إلى حالة الافتراق السياسي التي نشهدها بين طرفين يمثلان شئنا أم أبينا مكونين اجتماعيين يتأثران بمخرجات ونتائج ذلك الافتراق ويؤثران فيه عبر معادلة تفاعلية شديدة التعقيد.

ما يثير التساؤل إصرار القوى السياسية العراقية على تقزيم أزمة إدارة الحكم الحالية عبر إلقائها على مصطلح "إرادة المالكي" أو "إرادة دولة القانون" المتداول سراً وعلناً، في ظل تأكيد عام على أن آليات الحكم الغامضة والمتداخلة في ظل نصوص قانونية ودستورية شديدة التأويل سمحت للمالكي بالقول إن الدستور منحه "حقوقاً" وإن خصومه يطعنون بالدستور حين يسعون إلى تقويض هذه الحقوق، فيما أن تلك الآليات نفسها سمحت لمعارضي المالكي باتهامه بتجاوز الدستور والمضي نحو الاستبداد.

وبالاستناد إلى مفهوم "دولة المواطنة" المزعوم فإن على قوى مثل "العراقية" و"المجلس الأعلى" و"التحالف الكردستاني" و"الصدريين" التي تحتل النسبة الأكبر من مقاعد الحكومة والبرلمان أن تجيب مجتمعة على تساؤلات محيرة مثل:

– ما الذي يمنعها عن إقرار نظام داخلي لحكومة تعمل من دون نظام داخلي منذ عام، وما الذي يجبرها على الرضوخ لهذا الواقع؟

– ما الذي يمنعها عن تشريع القوانين الخاصة بتنظيم عمل السلطات الأمنية والعسكرية؟

– ما الذي يعرقل إعلاناتها الرسمية بشأن دعم توسيع صلاحيات المحافظات أو تحقيق العدالة في توزيع الثروات من خلال تشريعات واضحة تنزع الأزمة المشتعلة بين حكومة بغداد والحكومات المحلية؟

– ما الذي يعيقها في نطاق المسؤولية التضامنية عن تطبيق برنامج الحكومة المعلن وملاحقة تطبيق هذا البرنامج ومساءلة رئيس الحكومة ووزرائه عن خلل التطبيق؟

– ما الذي يكبل يديها عن ملاحقة الفساد عبر آليات برلمانية رصينة وتحقيقات واستجوابات تتيح معرفة مصير المليارات العراقية المبددة.

من السهل أن نستمع إلى سياسيين يشتكون من أن المالكي "يمنع" و"يعرقل" و"يريد"، ومن السهل أن نستمع إلى المالكي يشتكي من شركاء يمنعون ويعرقلون ويريدون، فيما توضح الصورة الشاملة أن الكل "يعرقل" و"يمنع"، وذلك ليس شعارا عريضا لاختيار موقف محايد من الاحداث بل هو حقيقة مجردة تتبعها حقائق أخرى.

فالمنظومات السياسية التي مازالت موجودة في صميم العملية السياسية منذ العام ٢٠٠٣ بصرف النظر عن تسمياتها وتنقلاتها وانقلاباتها المفاهيمية والشعاراتية كانت قدأسست منذ ذلك التاريخ نظام تبادل مصالح دقيقاً يتسلل من الشروخ العميقة في هيكلية إدارة الحكم ويندس من ذلك التخلخل المفاهيمي بين "دولة المواطنة" و"دولة المكونات" ليجعل من الصعب بأية حال تجاوز الخطابية العقيمة في تبادل التهم واجترار المشكلات إلى عمل فعلي صلب.

ذلك النظام كشفته أزمة "الهاشمي – المالكي" و "العراقية– دولة القانون" عندما تحولت من قضية سياسية إلى قضية قضائية، ومن ثم تحولت القضية القضائية إلى قضية تقرير مصير مكوّن!

من مفارقات الأزمة الحالية أن جناح المالكي كان يدرك مسبقاً أن ضرب إحدى حلقات المنظومة المصلحية المعقدة تلك لن يكون هدفه إسقاط خريطة القوى المتقاسمة، بقدر تغيير بعض وجوهها ومعادلاتها لكسب حيز جديد، فيما مضت الممثليات المستهدفة إلى أبعد من صراع معادلة المصالح واحتمت في ظل المكون، وتلك في الحقيقة ليست حالة شاذة، فالقوى جميعها تحتمي في ظل المكون حين تشعر بالخطر، وتسعى إلى زعامته مستثمرة مخاوفه وشكوكه.

وما بين مناورة الشعار العريض عن "تمثيل العراق" والتطبيق العملي لـ "تمثيل المكون" تستمد الأزمة العراقية ديمومتها، تسير التجربة على حافة الانهيار لأمد أطول.

ما يمكن التنبؤ به أن السياسيين العراقيين سيتفقون بعد أيام عبر اجتماع "الصقور" على خريطة المصالح الجديدة سيتقدم أحدهم خطوة ويتراجع الآخر، سيُسقطون وجوهاً ويتبنون وجوهاً أخرى، ولكن في خضم تلك "المخالصة" سيضطر العراقيون من جديد إلى تأجيل مواجهة أسئلتهم الأساسية، وسيفتحون مراراً أبواب الأقدار الموجعة على مصراعيها.

قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

حظّ المالكيّ

السيّد رئيس الوزراء محظوظ.

مقاديرُ سعيدة تفتح للمالكيّ مغالق الأمور وتبعد عنه الشرور بحيث يبدو أنه لو دفعه أحدهم من أعلى برج إيفل لنزل على قدميه معافى، مثل هذا الأمر لا يقيّض لأي أحد من العالمين. إنه من الهبات التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم.

بعض الساسة محظوظون بأصدقائهم، آخرون محظوظون بأعدائهم.

كم من سياسيّ كانِ مستشاروه وموالوه ومناصروه هم مفتاحَ سعده، وكلمة السرّ في نجاحه، فترى سياسيًا ما قد لا يملك مؤهلات النجاح لكنّ له مستشارين عباقرة يذللون له الصعاب ويفتحون له حتى في الحجر الصوّان ثقباً إلى حلول لا تخطر على بال الجنّ الأزرق. رئيس وزرائنا ليس من هذا الصنف طبعاً، فهو ذكيّ بما فيه الكفاية ويمتلك أسباب نجاحه، لكنّ جيشَ مستشاريه لا يُشدّ بهم الظهر، وعصبته الأقربين هم أبعد ما يمكن عن العبقرية، غير انه مع ذلك محظوظ، ويحقّ لكلّ ساسة العالم "المتحضر والمتخلّف على السواء" أن يغبطوا رئيس وزرائنا على هذا الحظ العظيم، إنه محظوظ بأعدائه وغرمائه من الساسة الآخرين.

يومياً يضاف لديّ دليل جديد على سعة حظّ السيّد المالكيّ بهؤلاء الأعداء، إنهم يتخبطون دائخين ويكشفون في تحركهم عن ضعفهم وهشاشتهم وقلة حيلتهم، يمنحون المالكي كلّ آنٍ سبباً آخر للقوّة، يشحذون سيفه بأيديهم ويسلمونه إياه.

لا أحد من خصوم المالكي أثبت حتى الآن انه يريد المعارضة حقاً، أن بمستطاعه المطاولة لتكوين رأي عامّ يناقض ما أنتجته الحقبة المالكية، حتى لو استغرقتْ هذه المطاولة زمناً، هذا ما يحدث في كلّ الديمقراطيات، أن المعارضة تبني جمهورها، تربّيه، تأخذ وقتاً في تهيئته لانتخابات قادمة، تطرح له برامجها البديلة، لكنّ معارضة المالكيّ لا تفعل شيئاً من ذلك، إنها تريد ثمناً فورياً لمواقفها دون أن تقنعنا بأهليتها لذلك، تريد إزاحة المالكيّ والحلول محلّه بأي ثمن، وهي حتى لو نجحتْ فستكون مخفقة لأننا نكون حينها قد أبدلنا شخصاً بشخص واسماً باسم، وانتهى الأمر.

هذه ليست معارضة، إنها أقرب ما تكون إلى عركة عشيرتين سيظلان الدهرَ كله يتداهران حول أحقية كلٍ منهما، وهو كالثأر تماماً عمل لا ينتهي ولن يسفر عن شيء مفيد.

خصوم المالكيّ يعينونه على أنفسهم، أمس قرأت تصريحاً لوزير الكهرباء الأسبق أيهم السامرائي "هل تذكرونه؟" الرجل متهم بسرقة المليارات وهارب إلى أميركا، وكان عليه أن يصمت لننساه ولئلا يذكّرنا بجرح لم يندمل، لكنه في تصريحه طالب بطريقة سيئة غير مسبوقة. بتغيير في العملية السياسيّة وتنحّي المالكي. يريد له حصة في عملية سياسيّة تجري في بلد هارب منه إثر اتهامه بجريمة توجب العار وسواد الوجه في الدارَين. هل يريد أن يعود مجدداً من أجل المليارات المتبقية؟!

المالكي محظوظ بخصم كهذا. وإذا كان هؤلاء هم خصومه فهو لن يحتاج أبداً إلى أصدقاء ومناصرين. يا للحظّ!

قبل خراب البصرة

ثقافة السياسي وسياسة المثقف

طالب عبد العزيز

بدعوة كريمة منه،سنحت لعدد من مثقفي البصرة فرصةُ التقوا خلالها المحافظ الدكتور خلف عبد الصمد،وفي داره على شط العرب،كنت قد خربشت كلمات قلت له فيها بأنا نود أن نبث بعضا من شجوننا وهمومنا،لا طامعين ولا ساعين لغرض شخصي،أبدا،وها أنت ترى وقد طارت غربانناً،بعد أن نيّفَ جلُنا على حاجات نفسه،وأطماع روحه،مع يقيننا بأهميتها في مكان آخرَ من المعمورة،لكننا كما قال شاعر:" أنا لا أنظر لوطني من ثقب في الباب،أنا أنظر من قلب مثقوب".

وقلت له:ولكي لا يضيع الوقت في المواجع نقول: حال لا ثقافتنا اليوم، يسرُّ أبدا،بعد أن تراجع اهتمام قادتنا بها إلى الحد الأدنى،ولا نجانبُ صوابنا إذا قلنا:نحن في الدرك الأسفل من اليقين بمستقبل أفضل لها،ولا نخفيك، قد لا يتحقق من لقائنا هذا أكثرُ من سعادتنا بك،فبالأمس القريب،ولخشيتنا على أعناقنا صمتنا أمام المحافظين الدكتاتوريين،واليوم في ظل ديمقراطية عشائرية جديدة قلنا كل شيء،لكن أقوالنا رميت من الشباك إن لم تكن في سلال المهملات،لأن ساستنا فهموا الديمقراطية على أنها إقصاء الثقافة من المشهد، مع الأسف.

وكذلك قلت:هناك مساحة شاسعة بين فهم السياسي للثقافة وبين فهم المثقف لها،ومهما تعالى الأول في فهمه لن يبلغ حجم صَدَفة في محيطها العميق،وهذه ليست بنقيصة لديه،لكن النقيصة ألا يستعينَ السياسيُّ بالمثقف،ولا يُصدقهُ القول،وأقولها صريحة معك:استعن بنا،واستعن بخاصتنا،ممن لو كانوا في مكان آخر من عالمنا لأقامت الحكومات لهم النصبَ والتماثيل وهم أحياء.أستعنْ بهم،كلفْ فريقَ عمل منهم،تنتخبه،وبعد مشورة ورأي، ولا يخدعنك غيرُهم،وأطلبْ منهم ورقة عمل لمستقبل وثقافة وفنون وسياسة المدينة أيضا إن أردت لمدينتك الخير والصلاح.

وسأكون أكثر جرأة لأقول لك،ألا يحزنك أنّ نهرا،يدعى بويب،هو الأكثر تداولا في ثقافتنا العربية،على الإطلاق، هو الأكثر بؤسا اليوم؟ ألا يحزنك أن شاعرا عظيما،هو السيّاب،كُتبَ عنه ما لم يُكتب عن أيّ شاعر عربي آخر هو الأكثر نسيانًا اليوم؟ألا يحزنك أن كاتبا عظيما،مبدعا خلاقا،صانعَ حكايات كبرى،ومؤسسَ أنماط كتابية،هي الأجمل،اسمه محمد خضير،العرب تعرفه أكثرُ مما يعرفه أهلُ مدينته،لا لشيء،لكنْ مؤسساتنا الثقافية والسياسيةً في واد وهو في واد آخر،بعد أن أخفقنا في تسويق ظواهرنا الثقافية،أخفقنا في تعريف ثقافتنا للعالم، فشلنا في بناء معلم ثقافي،صرح مدني،وفشلنا وفشلنا في الكثير،لكننا،والحق يقال: نجحنا في تسويق مشاهد الدم ومظاهر الحزن والبكائيات التي أصبحت وللأسف عنوانا لمرحلة ما بعد صدام حسين.

وقلت، غير خائف أيضا: يستفيد السياسي اليوم من تناغم الشارع البسيط،المتعاطف معه،لأنه منتفع منه في الانتخابات،لكن رؤية الشارع لا تذهب في البعيد أبدا،وهي غيرُ عاملة أصلا في الإستراتيجيات،بسببً أنها علقت المسؤولية كاملة في رقبة السياسي،القائد،لكن الحقيقة،وعلى المدى البعيد،هيَ خسارة كبرى للوطن الأكبر،لأن بناءَ الثقافة الوطنية،بناءَ الأوطان لا يتم عبر مجموعة العواطف النبيلة التي لا يخلو شعب منها،إنما عبر تنظيم العواطف هذه،عبر مشاريع إستراتيجية،غاية في الأهمية،لا يمكن إجمالها في ورقة قصيرة كهذه،الثقافة فرضٌ أساسيٌ،معقدٌ،بالغُ الأهمية، نحذر من جعله نفلاً عقيبَ كل صلاة سياسية.،لأن السياسة زائلة والثقافة أزليةٌ،فقد ذهب الملوك العرب والعجم وظل الجواهري العظيم.

كنت أتمنى أن نصحَبك أو تصحَبنا أنت في جولة قصيرة أو طويلة نطوف فيها معك أو تطوف معنا فيها،داخل أروقة المتحف هذا،أو صالات العرض المسرحي تلك،نقف معك أو تقف معنا نتأمل اللوحة هذه،نُصب الشاعر العظيم هذا،تماثيل الحديقة الأثرية تلك،قصر الفنون العريق هذا،دار الأوبرا القديمة تلك،غرفة الشاعر،عودَ الفنان ذاك،مخطوط كتاب لمؤرخ بصري وما أكثرهم،مسودة قصيدة من التي كان يتركها بدر شاكر السياب على بويب،لكننا لا نملك من ذلك شيئا،نحن في مدينة قفر،خالية المعالم،وما ظل منها نائم علىً الورق،خالد في الأذهان حسب.

ولكي لا أكون ليبراليا جدا،علمانيا جدا كما تتهم الثقافة دائما،أقول كان أبي يحدثني عن أسرة السيد أمير محمد القزويني وعن والده من قبل،ومن ثم ظل يحدثني عن أسرة السيد عباس شبر،ومن بعد عن السيد عصام ابنه،ومن ثم حدثني عن بيت السيد طالب النقيب وبيت باش أعيان وآل عبد الواحد وغمرني بخريطة من أسماء سيطول وقوفي بين يديك لو حدثتك عنها،وأنت سيد العارفين،لكنني متأسف والله،لأنكم،لم تفكروا بعد ببناء معلم واحد تعرفوا به مدينتكم،وقد ضاع الإرثُ كله،ضاعت البصرة الأم،فلنفكر جادين بمستقبل لمدينتنا من خلال الثقافة،لأن الملاعب والمدن الرياضية لن تؤدي مُؤدى الثقافة أبدا.

كاريكاتير

■ عادل صبري

حوار عابر للأشهر!

ياسر السالم

حوار الفرقاء يبدو مسلسلاً سيئاً، إن استمر الحال على ما هو عليه الآن من جلسات رتيبة في غرف مغلقة، تعقد تارة وتعطل في أخرى، بمشاركة محدودة وغير ذات فاعلية. فليس هناك ما يوحي بأن القوى المهيمنة على النفوذ تنوي مراجعة مجمل العملية السياسية وإعادة رسم خارطة طريق لمستقبلها.. وليس هناك ما ينبئ بأنهم يمتلكون القدرة على نقل البلد من حالة الأزمة إلى حالة الاستقرار.. كما ليس هناك ما يشير إلى إن تلك الكتل ترغب في حل الأزمة من الأساس.

وإذا كان الحكم على النوايا جائزا، فهناك شكوك عامة في نوايا الفرقاء لإنجاح مبادرة المؤتمر الوطني العام الذي دعا إليه رئيس الجمهورية جلال طالباني.

لكن لا داعي للحكم على النوايا بعد أن أعلن النائب عن ائتلاف دولة القانون عبد العباس شياع في تصريح صحفي، وجود اتفاق بين الرئاسات الثلاث (الجمهورية، النواب، الوزراء) بعقد لقاء وطني بدلاً من المؤتمر الوطني العام المرتقب عقده. وإذا جاز لنا أن نتصارح في تحديد المسؤولية عن الوقت الذي أهدر والأزمة التي صرنا إليها، فإنني أشير إلى طرفين بوجه أخص، أولهما الكتل المتنفذة المنتجة للأزمة. والثاني بقية القوى السياسية التي لم تستطع جمع شتاتها فتشكل جبهة عريضة معارضة لتقويم مسيرة العملية السياسية. فالمبادرات الفردية من هذا الحزب أو ذاك التيار لن تؤثر كثيراً، أمام السلطة الفاسدة بنفوذها وأموالها وسلاحها.

فاصلة

حتى الآن ليس هناك حل للازمة. وهذه نقطة الإجماع الوحيدة بين جميع أطرافها من دون استثناء.

والمؤتمر الوطني العام الذي يراد منه تفكيك الأزمة، بقي مجرد عنوان بلا مضمون، ومحض ذرٍّ في العيون، وشراء للوقت حتى الانتخابات المقبلة في عام ٢٠١٤.

أما الحوار الثلاثي الذي بصدده أبطال الأزمة، فإنه سيكون (كما جرت العادة)، حواراً عابراً للأشهر ومفتوحاً بغير نهاية، والأحداث فيه مكررة ومملة، والفكرة الأساسية منه معروفة سلفا وشاهدناها مرات عدة.. محورها التفنن في تخدير المواطن لمواصلة سرقة ثروات البلد..!

صباح النعاج!

أحمد حسين

الصباح بداية جديدة، لكل شيء، حتى للثوابت القابلة للتغيير، لذا نفتتحه بتحية الخير في محاولة لا واعية لتحقيق ما يعتلج في نفوسنا، لكنه. أي الصباح. بداية تغيير لمن يريد ذلك، لا للذين أدمنوا الخنوع وتماهوا معه حد الانبطاح، مثل هؤلاء هم من يصفهم تعريف الثورة بأنهم الجبناء الذين يجنون ثمار الثورات والاعتصامات التي يصنعها ذوو الفكر ويقودها الشجعان.

كان من المفترض أن يكون للعراق الجديد صباح، لكن يبدو أنه صباح نعاج ليس إلا، ولا أتحدث عن الجماهير فهي لا حول لها ولا فكرة، إذ أنها منذ الأزل وحتى الأبد وقود لنيران الجبناء أو جحافل لحروب الزعماء، بل أتحدث عن النعاج النخبوية، هذه التي طالما تصدرت بصفة القائدة الرائدة، لكن ما اتضح لي أن النخب هي الأشد استنعاجاً واستخرافاً، وهي المسؤولة الوحيدة عن "تنعيج" الجماهير وخورفتهم، فهي التي تدعي الاستنارة ولا تستنير بغير الانصياع، وتتشدق بالرفض لكنها تبيح ذواتها للمتاجرين، وتمتهن العهر الخطابي في محاولة مخجلة للتمويه على خزي جبنها المفضوح.

المؤلم في الأمر أن المواشي توارثت قدرها القسري منذ آلاف السنين، على خلاف النعاج والخراف البشرية التي لم يكن التاريخ قدرها بل كانت هي قدر التاريخ وصانعه والمتحكم بمجرياته، فهي العاقلة الفاهمة لما يدور وسوف يدور، ولذا فهي المتحملة لتبعات سيئاتها وحسناتها التي سنتها وسوف تسنها في المستقبلين القريب والبعيد، إلا أن النعاج والخراف وعلى مختلف أشكالها وأنماطها وتوجهاتها تشترك في تعريف أوحد وهو الاستنعاج والاستخراف.

في الصباح تثغو النعاج، ترفس، تخبط الأرض، تحثو التراب على رؤوس بعضها البعض، إلا أنها لا تحاول أبدا رفس باب الحظيرة والانطلاق في الفضاء، لأنها اعتادت الثغاء والتذمر، ولأنها اعتادت ذلك فهي دائمة الثغاء المتذمر، وتعلل دوماً تقاعسها عن التحرر من حظيرتها بأن القرون والجماجم الصلبة لا تتوافر لغير الخراف، وخرافها هي الأخرى مرنت قرونها على الانصياع وحثو التراب والانتشاء بسفح دماء بعضها البعض.

النعاج لا ترتعش من الرعاة فقط، بل أنها ترتعب من عصيهم وكلابهم التي تنبحها كلما حاولت الانفلات من القطيع، ونعاج وخراف كهذه لا أمل في انفلاتها لا من الحظيرة ولا من القطيع، بل أنها لا تقوى حتى في كوابيسها على تحرير الذات التبعية الرعوية، فقد اعتادت أن تتلقى الأوامر والنواهي حالها كحال الإنسان الآلي، لتنصاع صاغرة لما يمليه عليها الرعيان، هذه الشريحة الضئيلة الحضور لكنها مبرمجة بكم هائل من الأوامر والنواهي تتلقاها ببشاشة من كبار الرعاة، ولكم محزن أن تكون النعاج خاضعة ذليلة لأرذل حلقة في سلسلة المراجع الرعوية هذه ألا وهي كلاب صغار الرعاة.

لست بنعجة ولا أرتضي لنفسي أن أكون خروفا في تلك الحظيرة، كما أنني لا أدعي لنفسي القيادة ولا الثورية لكنني لم أسمح لذاتي أن تكون ضمن ثلة الجبناء الذين يجنون ثمار غيرهم، ولذلك أقدمت على ما أعرف عواقبه وتداعياته على أمل الاستجمام تحت شمس صباح جديد، صباح لا يستنعج الخراف ولا يضرب الأسوار حول المواشي، بل أنه يلفظ صفة المواشي من قاموسه.